

الواقع الاقتصادي للمغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية

دريس بن مصطفى- كلية الآداب واللغات

والعلوم الاجتماعية والإنسانية

- جامعة الطاهر مولاي- سعيدة

الملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة جانبا مهما من تاريخ الجزائر باعتبار أن المغرب الأوسط مثل الأرضية التي قامت عليها الدولة الجزائرية الحديثة، كما مثلت الدولة الزيانية جزءا من تاريخ هذه الدولة، وقد ركزت على الجانب الاقتصادي الذي يمثل أهم الركائز التي تقوم عليها أي دولة، إذ بقوته يقوى جانبها السياسي، وتتسع علاقاتها سواء مع دول الجوار أو مع الدول النائية.

الاقتصاد لغة هو التوسط في النفقة، والعيش بين الإفراط والتقتير (النقش)؛ فالقصد في الشيء خلاف الإفراط،⁽¹⁾ أما اصطلاحا فهو جميع الطرق الموصلة إلى الرفاهية المادية والعيش الأفضل، أو أنها حسن التصرف في الأموال الخاصة والعامة من غير تقريط ولا إفراط، والظاهر أن هذا المصطلح لم يكن مستعملا بمفهومه الحالي، أولا لأننا نجد ابن خلدون يستعير عنه بكلمة معاش،⁽²⁾ ولأن مفهوم الاقتصاد السياسي لم يظهر إلا في القرن الماضي، وعموما فإن اقتصاد أي بلد يقوم على أسس رئيسية ثلاثة هي: الزراعة والصناعة والتجارة. ولقد كان مفروضا والحالة السياسية التي تعيشها الإمارة الزيانية، أن تتعثر الحياة الحضارية بشكل عام، لكن رغم ذلك نلاحظ تطورا هاما في مختلف مظاهر الحياة ومجالاتها الاقتصادية على الخصوص.

أ- الزراعة: من القطاعات الحيوية التي أولتها الدولة الزيانية كبير عناية، حتى صار الغالب على أهلها مهنة الفلاحة، فقد كانت الزراعة مزدهرة والمحاصيل بها وفيرة، وهذا ما ندركه من خلال قول لسان الدين بن الخطيب في وصفه لسكان تلمسان "ولا فلاحة إلا لمن أقام رسم الفلاحة"⁽³⁾. وكانت حسب ابن خلدون متقدمة⁽⁴⁾ عن باقي وجوه الرزق الأخرى، من صناعة وتجارة، نظرا لأنها بسيطة طبيعية

وفطرية، ولا تحتاج إلى نظر أو علم⁽⁵⁾، ونتيجة لهذا المجهود فقد ظهرت عائلات وبيوت اشتهرت بالفلاحة كبيت ابن مرزوق⁽⁶⁾ إن وفرة الإنتاج الفلاحي ساعدت على استمرارية الدولة العبودية، التي اعتمدت أسلوب وسياسة التخزين⁽⁷⁾، إذ كانت الأطعمة تخزن في الأهرام والمطامير المختومة، فظهر ما يعرف بخازن الزرع⁽⁸⁾. ونجد أبا حمو موسى الأول، حسب التنسي، بعد خروجه من الحصار مباشرة، يقوم بتخزين الطعام والادام⁽⁹⁾ والخبز والملح والفحم والحب⁽¹⁰⁾. ومن هنا ندرك بأن الفلاحة أصبحت أقوى سلاح في يد الزينيين في مدافعة ومواجهة سياسة الحصار والتجوع التي انتهجتها جاراتها تجاهها وخاصة المرينية.

أما عن منتجات الدولة الزينانية فهي عديدة ومتنوعة، فحسب صاحب الاستبصار أنه كان لبلاد المغرب الأوسط مدن عديدة وكثيرة الخصب والزرع، وتحتوي على مراعي لتربية الماشية التي كانت تتجه نحو بلاد المغرب والأندلس⁽¹¹⁾، إلى أن ذهب البعض إلى تشبيهها بمدن الأندلس لمياهها وبساتينها⁽¹²⁾.

فبالنسبة للإنتاج النباتي كان متنوعا، منه القمح والشعير والفقوس والبطيخ والخيار والأجاص⁽¹³⁾ والرماني والزيتون. والخس والكرب واللفت⁽¹⁴⁾، ولعل أهم ما اشتهرت به العاصمة تلمسان في هذا المجال، هو حب الملوك والذي لا تزال زراعته مستمرة إلى يومنا هذا، إذ نجد هذه الفاكهة من أهم ما استرعى اهتمام وانتباه لسان الدين ابن الخطيب في تلمسان وهذا ما نستشفه من خلال قوله "....إلا أنها (أي تلمسان) بسبب حب الملوك مطمعة للملوك...."⁽¹⁵⁾ ونجد الرحالة حسن الوزان (ليون الإفريقي) يعبر عن انبهاره بما تحتويه المدينة من عدد هائل من أشجار هذه الفاكهة، حين يقول بأن بصره لم يقع على مثلها فيما سبق من البلدان التي زارها وأعجب أيضا بتينها الحلو الأسود الفاخر الطويل، الذي كان يدخره سكان المنطقة جافا لفصل الشتاء⁽¹⁶⁾. كما يبالغ في وصفها يحيى بن خلدون فيجعل منها جنة تحتوي كل ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ به الأعين من الفواكه والرماني والتين والزيتون⁽¹⁷⁾ وكانت الحبوب والمواشي تنتشر بسهولة متيجة⁽¹⁸⁾، برشك، تنس، مستغانم، وهران، أرشقول، هنين، مليانة، تاهرت، مازونة، ندرومة وتلمسان⁽¹⁹⁾. أما النمر فقد انحصر إنتاجها بنواحي تلمسان وتيكورارين، وتواجد الزيتون بهنين، واشتهرت مدينة الجزائر بالعسل

والتين⁽²⁰⁾، واحتوت تنس ومدينة برشك على الكثير من الفواكه وخاصة السفرجل المعنق الحسن والطيب الرائحة والحلاوة، الشبيه بالقرع الصغير⁽²¹⁾ إضافة إلى إنتاج الأعناب والعسل والزرع والحنطة التي كانت تفوق حاجتهم⁽²²⁾، أما مستغانم وندرومة فتواجد بهما القطن والكتان، واختصت شرشال دون سواها بإنتاج الحرير.

أما بالمناطق الجبلية التي كانت تصعب فيها زراعة القمح أو الحبوب بصفة عامة، فسادت زراعة الخروب إذ كان سكانها يستعيضون بها عنها، وقد أورد لنا الحسن الوزان بعض هذه المناطق ومنها: ندرومة وتبحريت التي تبعد عنها بنحو اثني عشر ميلا⁽²³⁾.

لعل أهم ما ساعد على نجاح الزراعة ودفع سكان المنطقة إلى امتنانها، هو توفر المياه، وهذا ما نستشفه من خلال قول الإدريسي حينما يصف تلمسان "ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين، وهذا الوادي يمر في شرقي المدينة، وعليه أرحاء كثيرة، وجوارها من المزارع كلها مسقي"⁽²⁴⁾. أي توفر المياه المخصصة لري البساتين والحقول، والتي كان مصدرها الأودية والأنهار الدائمة الجريان⁽²⁵⁾ آنذاك كواادي ملوية والتافنة ونهر الشلف وغيرها.

أما العامل الثاني فهو توافر الأراضي الزراعية الخصبة، لوقوع تلمسان ضمن المغرب الأوسط، الذي حباه الله بموقع يتوسط عددا من الكور المنجبة للحيوان والنبات والكريمة الفلاح الزاكية الإصابة، على حد تعبير صاحب البغية⁽²⁶⁾ إذ كانت سهول ملاتة بوهرا تتهي في الزوج الواحد إلى أربع مائة مد⁽²⁷⁾ كبير⁽²⁸⁾. وهذا ما ندركه أيضا من قول صاحب الاستبصار "وللمغرب الأوسط مدن كثيرة، وهي كثيرة الخصب والزرع"⁽²⁹⁾ ومن هذه المناطق، مازونة متيجة وتسلة وتاهرت⁽³⁰⁾ وسهول تلمسان، أي تلك القريبة من الساحل⁽³¹⁾.

إن وقوع المنطقة ضمن المنطقة المعتدلة⁽³²⁾ ساعد كثيرا على نجاح الحياة النباتية والحيوانية نظرا لملائمة المناخ إذ تنتمي المنطقة إلى إقليم مناخ البحر المتوسط، فشمالها يمتاز بغزارة الأمطار واعتدال الحرارة، فمثلت جبال الأطلس التلي خزانات تمد مجموع الأودية التي كانت تروي حقول وبساتين المنطقة بتلك المياه، وهذا ما ندركه أيضا من خلال وصف لسان الدين ابن الخطيب لتلمسان حينما يقول "وهواؤها الممدود صحيح عتيد وماؤها برود صريد حبتها أيدي القدرة عن الجنوب فلا نحول فيها ولا شحوب"⁽³³⁾ بينما تتناقص كمياتها كلما ابتعدنا عن الساحل لكن هذا لا ينفي وجود بعض سنوات القحط

والمسغبة، بسبب الحروب وسنوات الغزو إضافة الى عوامل طبيعية متعلقة بالمناخ كالجفاف⁽³⁴⁾ أو العواصف، إذ يذكر المؤرخون أن ريحا عاصفة هبت على المنطقة سنة 776هـ/1375م اقتلعت معظم المحاصيل الزراعية، فانتشرت المجاعة حتى أكل الناس بعضهم بعضا، فحينها تصدق السلطان أبو حمو الثاني بنصف جباية خزينة الدولة على الرعية، حتى انفرج الكرب وزالت المسغبة⁽³⁵⁾ أو عوامل أخرى كغزو الجراد للمحاصيل الزراعية والتي كانت تلحق العطب باقتصاد المنطقة بشكل عام⁽³⁶⁾.

إن الحياة الاقتصادية بشكل عام تميزت ببساطتها في الفترة المدروسة فكان سكان المنطقة يحترفون الزراعة كسبيل من سبل الرزق المباشرة لدى الكثير من الفلاحين الذين فطروا عليها⁽³⁷⁾ إضافة إلى اعتبار هذه المهنة محببة لدى المسلمين، فنجد عبد السلام التونسي⁽³⁸⁾ حسب ابن مريم "عالما وزاهدا. يلبس الصوف ويأكل الشعير من حرث يده، والسلاحف البرية"⁽³⁹⁾ وعائلة الشيخ الصالح أبو عبد الله بن مرزوق الذين كانوا أهل صلاح ووجاهة بالدين لكنهم مع ذلك احترقوا الفلاحة⁽⁴⁰⁾ على عكس الأوروبيين الذين كانت تمثل لديهم مظهرا من مظاهر العبودية والاسترقاق، و في هذا الصدد نجد "دينيس بولين" يقول بأن للفلاح مجال يكاد يكون مساويا أو مطابقا تماما للمجال الذي انتشر فيه الإسلام، ومن هنا تكاد كلمة فلاح لا تتفصل عن كلمة إسلام⁽⁴¹⁾. و بغض النظر عن وجهته العنصرية واتجاهه الديني، فنجد حقا أن المنطقة اشتهرت بهذه الحرفة منذ أقدم العصور وإن الإسلام حث على خدمة الأرض واستنباتها.

ساعدت وفرة المراعي الطبيعية على نجاح تربية المواشي بمختلف أشكالها إذ تواجدت في كل من الجزائر ووهران وضواحيها⁽⁴²⁾ كما سبق وأن أشرنا، وبلغت درجة تطورها إلى حد نقلها وبيعها في بلاد المغرب والأندلس،⁽⁴³⁾ وخاصة بمناطق الظهير التلي أين يتواجد الماء والكأ.

لم يعيش سكان منطقة المغرب الأوسط في منأى ومعزل عن الأمصار المجاورة، فقد ظهرت جملة من الهجرات نحو بلادهم وأهمها هجرة الأندلسيين، الذين نقلوا إليها بعض التجارب الزراعية -كاسرة بني الملاح- فأصبحت بعدها من العادات الفلاحية لدى سكان المنطقة. وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن ملوك بني زيان كانوا أنفسهم شغوفين بالزراعة، إذ أقاموا البساتين والجنان حول قصورهم، وجعلوا لها

خزانات المياه التي ترويه كالصهريج الكبير⁽⁴⁴⁾ الذي كانت مياهه تستعمل لسقي البساتين الواقعة تحته.⁽⁴⁵⁾
ب/ الصناعة:

يعرف ابن خلدون الصناعة في مقدمته "بأنها ملكة في أمر عملي فكري"⁽⁴⁶⁾ أي على عكس الزراعة التي اصبح عليها صفة الفطرية، فإنها تتطلب إحكام العقل. ويضيف أن ازدهارها وتنوعها غالبا ما يكون مرهونا ومرتبطة بشروط أساسية وضرورية أهمها: عامل الأمن والاستقرار، وتشجيع الحكام أو الدولة لها، وتوفر المادة الخام أو الأولية التي تقوم عليها، وتوفر الأسواق التي تتلقفها، وكذا نجاح القطاع الزراعي بها إلى درجة تأمين الاكتفاء للسكان⁽⁴⁷⁾. وهذا ما يسمح حسب رأينا بالانصراف إلى مجالات أخرى غيرها، فهل توفرت هذه الشروط في الإمارة الزيانية؟ وهل توافق ذلك مع المستوى الذي بلغه هذا القطاع؟.

لاشك أن العامل الأول وهو أهمها، لم يتوفر إلا في فترات محدودة من عمرها كما سبق وان اشرنا إلى ذلك في مواضع سابقة، ورغم ذلك نجد جل حكام المملكة باختلاف ميولهم وأهوائهم، قد أولوه اهتماما خاصا، فنجد أبا تاشفين أبي حمو رغم جنوحه إلى الملذات ولهو الدنيا، إلا أنه كان مولعا بتشديد المصانع، مستغلا في ذلك تواجد الأسرى والنصارى ببلاده، فكان منهم النجارون والبناعون والزلاجون والزواقون⁽⁴⁸⁾، وأبو حمو موسى الثاني الذي كان مولعا بالاحتفالات الدينية ومهتما بالعلوم النقلية، إلا أن دار الصناعة كانت تموج في عهده بالفعل على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم، وما وجود ساعة المنقانة⁽⁴⁹⁾ أو المنجانة، إلا دليل على رقي الحس الفني والإبداع الصناعي له.

أما فيما يخص الركن الثالث، فالظاهر أن بلاد المغرب الأوسط كانت أوفر حظا من بلاد المشرق، إذ اشتهرت بثرواتها المعدنية⁽⁵⁰⁾، الضرورية لقيام الصناعة، فكان حظها هي الأخرى حسنا كما في الزراعة، فبخصوص النباتية نجد القطن والزيتون والكتان والحلفاء والخشب ومنها الحيوانية كالجلود من الأبقار والخرفان، أما المعدنية فتواجد الحديد بجنال تفسره جنوب تلمسان⁽⁵¹⁾ والزنك (التوتياء) بجبل الونشريس⁽⁵²⁾.

أما العاملين أو الركنين الرابع والخامس، فقد توفرا إلا في سنوات الحصار الذي تعرضت له المملكة، وقد سبق وان أعطينا أو كونا نظرة عن حال الزراعة والنجاح الذي بلغته.

قامت العديد من الصناعات المتنوعة بالمغرب الأوسط، موّنت التجارة وشكلت نسبة هامة ضمن قائمة الصادرات، غطت جزءا هاما من الواردات⁽⁵³⁾ ولم تنحصر بالعاصمة تلمسان بل تعدتها إلى مدن أخرى مثل شرشال التي تخصصت في صناعة النسيج الحريري⁽⁵⁴⁾، وهنين في المنسوجات القطنية⁽⁵⁵⁾، مليانة وكذلك مستغانم وندرومة. أما تلمسان المدينة فقد اشتهرت بصناعة الأقمشة الصوفية المفضلة على جنسها المصنوع في سائر أنحاء المغرب⁽⁵⁶⁾، ومن بين العائلات التي اشتهرت بهذه الصناعة، عائلة النجار التلمسانية نذكر منها أبو زيد عبد الرحمن بن النجار، الذي امتلك معامل لحياكة الصوف الرفيع، كما اشتهرت المنطقة بصناعة الزرابي الفاخرة، فكانت تخرج من أنوالها- المعامل- أخف أقمشة الصوف وأمتنها، ناهيك عن البرانس الرقيقة الرفيعة⁽⁵⁷⁾ ذات الشعر الطويل⁽⁵⁸⁾ والتي كانت من اختصاص التلمسانيين،⁽⁵⁹⁾ والصناعات الجلدية كألجمة الخيل وسروجها وما يتبع ذلك، وانتشرت بها الصناعات الفخارية، والصباغة بمنطقة العباد، والحدادة بتفسره⁽⁶⁰⁾.

ومن ناحية أخرى نجد صناعة البناء والفسيفساء قد ازدهرت، وهذا ما يتجلى من خلال بنائها الجميل والمزدان بشتى أنواع الفسيفساء، والتي مثلت مزيجا وموروثا حضاريا ترك ملوك تلمسان بصمتهم عليه. تميزت بعض المدن الساحلية بإنتاج الأساطيل الحربية والتجارية التي كانت تمخر البحر⁽⁶¹⁾ ويورد لنا ابن أبي زرع أن مرسى وهران وهنين، اشتركا مع تونس في صنع مائة قطعة⁽⁶²⁾ (سفينة)، ولا نعني هنا الشراكة في الصناعة وإنما في العدد فقط. كما كانت تصنع لها الحبال داخل بلاد المغرب الأوسط. ولم تغب الصناعات الغذائية عن بلاد المغرب الأوسط، إذ تواجدت حرفة طحن الحبوب على طول الأنهار التي تجري على أرضه، والتي أورد لنا الإدريسي والوزان وصاحب الاستبصار جملة منها، كوادي الصخرتين والفسيف والشلف وملوية وغيرها.

كما تقدمت صناعة الخشب التي زودت المدن ومنها تلمسان العاصمة بأبواب ضخمة، غاية في الارتفاع والقوة، وهنا ندرك وجود بعض التنسيق بين الحرف والصناعات إذ كانت مصاريع هذه الأبواب تدرع

بالحديد⁽⁶³⁾. أما مهنة أو حرفة الخراطة المتمثلة في صنع الأواني الخشبية فازدهرت خاصة بمدينة مليانة⁽⁶⁴⁾ هناك صناعة لا يمكن لأي دولة أن تستغني عنها لأنها تمثل جزءا من هويتها وشخصيتها السياسية، ومثلت عبر مرور الزمن رمزا من رموز الاستقلال أو التبعية، إنها صناعة السكة، ففي الدولة الزيانية كانت النقود تسك من الذهب الرديء ومن الفضة غير الخالصة أيضا ومن النحاس وهي متفاوتة من حيث القيمة والنوع⁽⁶⁵⁾.

إن ما ذكرناه من صنائع، كان من باب المثال لا الحصر، لأن كل المدن التي أوردناها وجدت بها صنائع مختلفة، فاكثفنا بما اشتهرت به. ويكفي دلالة على ذلك الأسماء التي لا تزال بعض الأمكنة تتسمى بها وتشهد على عراقة تلك الصنائع بها، فنذكر أن تلمسان خصوصا، كانت فيما مضى حاضرة للعديد من الحرف والصناعات⁽⁶⁶⁾.

لكننا ورغم ذلك نذكر بأن هذه الصناعات لم ترق إلى مستوى ما كانت عليه في الضفة اليسرى للمتوسط، وهذا حسب ابن خلدون وانطلاقا من قوله "إن سكان المغرب عربا وعجما ابعد عن باقي الأمم النصرانية عدوة البحر الرومي عن الصنائع، بسبب رسوخهم في البداوة منذ أحقاب من السنين"⁽⁶⁷⁾. لكنه ومن جهة أخرى يجعلنا نشتم ما بلغه إنسان المغرب الأوسط من جهود لبلوغ هذه المرتبة الصناعية، رغم طابع البداوة الذي وصف به، ورغم انشغاله بالفلاحة والرعي، ويضيف ابن خلدون "إن الصنائع به قليلة وغير مستحكمة، إلا ما استمد من خامات محلية، كصناعة الصوف ودبغ وخرز الجلود والتي شهدت تطورا هاما"⁽⁶⁸⁾.

ج- الجباية:

من الجوانب الاقتصادية الهامة التي ركزت عليها الإمارة الزيانية جباية الأموال، إذ اعتمدت من طرف قبيلة بني عبد الوادي حتى قبل أن تصبح لهم دولة، فيورد لنا عبد الرحمن بن خلدون مثالا عن ذلك حينما اقتطعت من الدولة الموحدية الكثير من أرضها لجباية الأموال من قبائلها، فكانوا إذا خرجوا إلى مشايخهم بالصحراء، خلفوا أتباعهم بالتلول لاعتماد أرضهم وجباية الخراج من رعاياهم⁽⁶⁹⁾ فكان من الطبيعي والمنطقي أن يستمر هذا النظام عند تكوين هذه القبيلة لدولتهم، ولهذا نجد القبائل الخاضعة للدولة الزيانية سواء كانوا من البربر أو العرب يسمون بالقبائل الغارمة، لأنهم كانوا ملزمين بإعطاء جزء من أموالهم للدولة كدلالة على خضوعهم وتبعية لهم، فقد استفادت هذه

الدولة من جباية مائة ألف دينار من بلاد تابعة لإفريقية أقطعها الحاكم الحفصي أبو زكرياء للسلطان الزياني يغمراسن عندما ولاه تلمسان نيابة عنه، فكانت هذه الجباية له ولعقبه تأتيهم كل سنة، لم يقطعها عنهم إلا موت أبي تاشفين واستيلاء بني مرين على المنطقة،⁽⁷⁰⁾ ولم تكن جباية الأموال هاته خاصة بالقبائل البربرية فقط، بل خصت بها قبائل عرب بني هلال التي كانت تحت السيطرة الزيانية أيضا، فأمر المسلمين يغمراسن قام باثنتين وسبعين غزوة ضد العرب إلى أن استعبد أحرارهم واستغرم عن يد وهم صاغرون عن أموالهم⁽⁷¹⁾، كما كانت هذه الجباية تفرض على التجار من جميع الأطياف، مغاربة ومشاركة وأوروبيين، لأنها كانت تمثل مصدرا اقتصاديا يسد باب الضعف لدى هذه الدولة، وهذا ما ندركه من قول الوزان ((تنتج البلاد قليلا، ولا يسكنها إلا القليل من الناس، لكن لما كانت تشكل مرحلة بين أوروبا وبلاد السودان فإن الملك يستفيد أموالا كثيرة من دخول البضائع وخرجها)).⁽⁷²⁾ وكانت هذه الأموال تسمى بالمغارم، فعندما جاء الفقيه العالم أبو العباس أحمد بن عمران البجائي تاجرا، وتعرف عليه السلطان الزياني أبو تاشفين وعن مكانته العلمية رفع كلفة مغرمه ومغرم من كانوا معه،⁽⁷³⁾ كما روى لنا ابن مرزوق ما كان يجري من ((التفتيش في الأبواب الذي لا يحترم فيه من الناس احد، فيتولى المسلم نصرانيا ويهوديا وخارجيا فيفتشونه من رأسه إلى قدمه، ظاهرا وباطنا لما عسى أن يدخل به من السلع التي يوظف عليها مغرم من المغارم، حتى النساء يوكل بهن يهوديات يفتشنهن، وهذا العمل كان جاريا في تلمسان وأعمالها))، ومن هنا ندرك بان الجباية مثلت مصدرا هاما من مصادر الدخل لدى الدولة الزيانية، التي اتخذت في هذا المجال نوعا من الابتزاز واخذ المال بالقوة، وهذا ما يتضح من خلال قول ابن خلدون يحي حينما يروي لنا خير رفع أبا تاشفين لمبتدع الوظائف عن الناس.⁽⁷⁴⁾ وأخوه يحي حينما يقول ((وتضاعفت قواهم بما استحوذوا عليه من جبايات أمصار وقبائل))⁽⁷⁵⁾.

أما بالنسبة للنظام المالي للإمارة الزيانية فمستمد من النظام والشرع الإسلامي بصورة عامة، كما يمكن اعتباره امتدادا للنظام المالي الموحد،⁽⁷⁶⁾ ورثه الملوك والسلطين الزيانيون عنهم، ولهذا فإنه لم يبتعد عن أنظمة الدول والإمارات المجاورة، لكن من جهة أخرى نلاحظ أن هذا النظام خرج نسبيا عن الشرعية التي تميز بها النظام المالي للدولة الموحدية، إذ تميز نوعا ما بالابتزاز والقهر واخذ المال

بالقوة من قبائل لم تكن لهم الاعتراف إلا مرغمة، ومن العامة التي غرمت بشتى الصور، كالتغريم على الحطب والبيض، والحبل وغيرها، كما أن بداية هذا النظام المالي وخاصة الشطر الجبائي منه، تشكل قبل أن تأخذ هذه الدولة صفتها النهائية والرسمية.

وبخصوص النظام النقدي فقد استمر التداول بالنقود الموحدية رغم أن ذلك يعد مظهرا من مظاهر التبعية وانتقاصا من استقلالية الدولة، لكن ذلك لم يمنع من جهة أخرى من صك نقود خاصة بالإمارة، مع الاحتفاظ ببعض خصائصها من شكل ومميزات، كحملها لآيات قرآنية أو أحاديث نبوية شريفة أو بعض الأدعية⁽⁷⁷⁾، فقد تم اكتشاف اثنين وثلاثين دينارا تمثل نماذج لمراحل مختلفة من عمر الدولة العبدوادية، فالدينار الأول يعود إلى عهد السلطان أبي حمو موسى الأول 707-718هـ/1307-1318م ويزن 4.66 غراما وطول قطره 32 مم، ومما يؤكد مصدره ومصدر الكثير من هذه النقود هو الكتابة التي وجدت على حافته أو على سواره "ضرب بمدينة تلمسان حرسها الله تعالى وأمنها"

وبداخل المربع

عن أمر عبد الله
موسى أمير
المسلمين المتوكل
على رب العالمين
أيده الله ونصره
وفي الوجه الثاني كتب في القطعة الدائرية.
واللهم اله واحد لا اله إلا هو الرحمن الرحيم
أما داخل المربع فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على محمد وآله
لا اله إلا الله
محمد رسول الله
ما اقرب فرج الله

وهناك قطع نقدية أخرى لسلطين آخرين كالسلطان أبي عبد الله محمد المتوكل على الله (866-873هـ) وآخر إلى السلطان أبي عبد الله محمد (873-909هـ) لا تخرج عن الأولى فيما تحتويه من عبارات أو حتى من حيث الشكل بينما تختلف من حيث الوزن⁽⁷⁸⁾.

ثاني: ويساوي أربعين درهما. والدرهم يساوي أربعة أعشار الدينار.⁽⁷⁹⁾ إن الوحدة الاقتصادية قد تجاوزت الصراعات السياسية بدليل أن التعامل في كامل بلاد المغرب والأندلس كان يتم بعملة ذهبية هي الدينار، وعملة فضية هي الدرهم وكانت قيمتها ثابتة ومتقاربة نسبيا، الأمر الذي كان يدعو الدول الأخرى الإسلامية الشرقية والمسيحية إلى الوثوق بها⁽⁸⁰⁾.

وكان الدينار يتصدر باقي أنواع العملة، وتكونت له أجزاء، وهذا ما ندرکه من خلال قول الونشريسي ((أن أحدا سأل فقيها عن من له ديناراً على رجل قرضا، هل يجوز قضاء بعضه، أم لا يجوز قضاؤه إلا دفعة واحدة؟ فأجابه بجواز اخذ بعضه (الدينار) بما تراضيا عليه يوم الصرف ويبقى البعض الآخر في الذمة ذهبا إلى يوم القضاء بحساب صرف يوم القضاء.⁽⁸¹⁾ كما أن هناك أنواعا مختلفة للدينانير الزبانية من حيث المادة التي تصنع منها وهذا ما نستنتجه من قول الوزان "ويسك الملك نقودا من الذهب الرديء، كالدينانير التي تسمى في ايطاليا بسلا تشي (أي الخفيفة) غير أن القطعة الواحدة منها تساوي دينارا وربعا ايطاليا لكونها كبيرة جدا، ويسك أيضا نقودا فضية غير خالصة وأخرى نحاسية متفاوتة القيمة والنوع⁽⁸²⁾.

التجارة:

((التجارة هي محاولة الكسب بتمية المال، بشراء السلع بالرخص، وبيعها بالغلاء، أيا ما كانت السلعة))⁽⁸³⁾. كما يعرفها الجرجاني بأنها عملية شراء شيء لبيع بالربح، ويعرف البيع بأنه مطلق المبادلة⁽⁸⁴⁾، أو كما يختصرها البعض في كلمتين، شراء الرخيص وبيع الغالي، وبذلك فهي حركة انتقال السلع داخليا ضمن الحدود الإقليمية للدولة، أو خارجيا بعيدا عنها. كما انه لا يمكن لأي دولة أن تستغني عن هذا القطاع الحيوي مهما كان ثرائها وغناها، إذ تكون مضطرة لتصرف الفائض عن حاجتها، وجلب ما ينقصها حتى ولو كان من الكماليات، التي عادة ما تتجه نحو قصور السلاطين والملوك والأثرياء. اشتهر العرب منذ القدم بالتجارة، فكان الملوك قبل الإسلام تجارا يبيعون ويشتررون، وكان رؤساء المعابد تجارا يتاجرون باسم معابدهم⁽⁸⁵⁾، فساكن المغرب أصبحوا بمرور الزمن جزءا من العالم الإسلامي الذي امتلك طقوسا وعادات تجارية⁽⁸⁶⁾، وجاء الإسلام ليرفع من قدر التجارة والتجار⁽⁸⁷⁾ فأكدت ذلك بعض الأحاديث النبوية الشريفة⁽⁸⁸⁾

كما أن مزاوله الرسول (صلعم) نفسه للتجارة شجع المسلمين عامة على امتهاتها ومزاولتها.

وقد وجد بالمغرب الإسلامي أنواع من التجار أهمهم *التاجر الخزان: وهو المحتكر للسلع، يشتريها في مواسمها بأثمان رخيصة لوفرتها وكثرة المعروض منها، فينظر ندرتها وارتفاع أسعارها ليخرجها ويبيعها بأكبر هامش من الربح، وهو على هذا الأساس على اطلاع عام بما يدور بالأسواق وما يحدث بها من تقلبات في الأسعار.

*التاجر الركاض: ويعرف أيضا بالتاجر الجوال أو السقار⁽⁸⁹⁾ وهو المتنقل من منطقة لأخرى بحثا عن سلع يتاجر فيها وقد يكون على مستوى محلي أي داخل إطار الدولة الواحدة والذي يتوجب عليه المعرفة بأسعار المادة التي يتاجر فيها، أو بين منطقتين مختلفتين، كما كان الحال بالنسبة لتجار تلمسان الذين كانوا يجوبون أطراف الصحراء لجلب الذهب وما ندر في بلادهم من المعادن والحلي وغيرها.

*التاجر المجهز: ويعمل بالتنسيق مع تاجر آخر أو أكثر، أو أن يتخذ له وكلا في مدينة أخرى أو بلد آخر، فيجهز إليه السلع ليتولى بيعها، ثم شراء سلع أخرى يقوم بتصديرها إليه - أي إلى لمجهز - وهذه العملية تتطلب وجود ثقة كبيرة بين التاجرين أو من تتم بينهم العملية،⁽⁹⁰⁾ وقد يلجأ إلى هذه العملية في حالة احتراف التاجر لمهنة أخرى ولا يرغبون في التنقل خاصة الفقهاء من أرباب الخطط الرسمية⁽⁹¹⁾ وهذا ما أدى إلى ظهور مهنة الوكيل الذي قد يخدم تاجرا واحدا، أو يفتح حانوتا يخدم من يطلبه، وكان كل ذلك يتم وفق اتفاق مكتوب لا يتعداه⁽⁹²⁾.

ويمكن أن نصنف التجار على أساس آخر وهو ما يمتلكونه من رأس المال وبوضعهم الاجتماعي والطريقة التي يستثمرون أموالهم بها، فمنهم من يستثمرون أقل من مائة دينار ويعملون لصالحهم الخاص، سواء كانوا مقيمين أو متنقلين، أما المجموعة الثانية فهم التجار الذين يستثمرون أكثر من مائة دينار إلى غاية ألف دينار، أما المجموعة الثالثة فهي التي يفوق مقدار ما تستثمره الألف دينار⁽⁹³⁾.

*- التجارة مع السودان الغربي⁽⁹⁴⁾:

إن امتداد الفيافي والقفار إلى أقصى الشمال كان عاملا أساسيا في غنى سكان تلمسان، بفضل التجارة التي كانت مزدهرة خاصة في العهد الزياني⁽⁹⁵⁾، لأهمية موقع تلمسان الجغرافي، فكانت علاقاتها التجارية

قوية مع بلاد المغرب والبلاد الاستوائية⁽⁹⁶⁾، تستورد وتصدر السلع والبضائع المختلفة، حتى أنها عدت السوق المغربية الكبرى للسودان⁽⁹⁷⁾، فكانت في اتصال مباشر مع سجلماسة والطريقين الرئيسيين العابرين للصحراء: طريق الغرب (لمتونه) التي تربط السوس بالأدرار الموريتانية⁽⁹⁸⁾ وطريق الوسط الموصلة إلى تمبكتو وغانا.....⁽⁹⁹⁾.

كان التجار يرسلون سلعهم من تلمسان ووهران إلى ما وراء الصحراء، عن طريق سجلماسة كما سبقت الإشارة إلى ذلك، أين تلتقي قوافل المملكة بنظيرتها من المغرب الأقصى، لتؤم جميعها تمبكتو وغانا، ومع قوافل أخرى تخرج من الصويرة ووادي نون فتؤم هي الأخرى موريتانيا والسنغال والمالي وغانا وغينيا⁽¹⁰⁰⁾.

ومما يدل على نجاح وتقدم التجارة بتلمسان خاصة هو ظهور الشركات التجارية الصحراوية، إذ ظهرت شركة المقريين⁽¹⁰¹⁾، الذين مهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار متخذين لذلك طابعا ورايات تتقدم عند المسير⁽¹⁰²⁾.

كان التجار يقومون برحلة تجارية مرة في السنة وقبل الشروع فيها، يتجمعون للاستعداد لها بتوفير وسائل النقل، وتحديد طرق الرحلة والتزود بالماء واكتراء الدليل، ونفس الشيء كان قائما في بلاد المشرق إذ عني العرب بحراسة الطرق وتأمينها وإنشاء أماكن يستريح فيها المسافرين، أو تيسير الماء فيها على الأقل⁽¹⁰³⁾، وقد تعدت هذه الظاهرة البلاد العربية إلى بلاد فارس، وتعدت المسلمين إلى النصرانيين، إذ كانت الأديرة تقوم مقام الرباطات في تقديم الضيافة للتجار والعابرين.

بعد ذلك يتم تحميل الجمال، لتتطلق القافلة قاطعة المسافات الطويلة، قد تتعرض فيها لجملة من الأخطار، كندرة الماء والرياح والعواصف والتهان، فيهلك أهلها أو الكثير منهم⁽¹⁰⁴⁾ أو قد يتعرضون للنهب من طرف قطاع الطرق⁽¹⁰⁵⁾ ولهذا كان التجار في كثير من الأحيان يستعينون بـ"التكشيف" أو الدليل الذي كان له دور هام في بلوغ القافلة أهدافها، وقد كان يكتري حسب ابن بطوطة بمائة مثقال من ذهب للرحلة فيما بين مسوفة وايلولتن⁽¹⁰⁶⁾ وكان التجار يقطعون المسافة من تلمسان إلى بلاد السودان الغربي⁽¹⁰⁷⁾ في مدة شهرين ونصف الشهر⁽¹⁰⁸⁾ و تعود أسباب ازدهار التجارة عبر هذا المحور إلى عدة

عوامل منها: اختناق النشاط التجاري في المنطقة الشرقية بعد زحف الهلاليين عليها في القرن الخامس الهجري⁽¹⁰⁹⁾.
أما عن قائمة السلع المتبادلة فكثيرة.

أ-واردات المغرب الأوسط: وتتشكل مما يلي:
التبر: ⁽¹¹⁰⁾ وهي أهم مادة ضمن القائمة، وكانت متوفرة بمنطقة غاو وأودغست وغانة وغيرها، فينقل على ظهور الجمال عبر الصحراء إلى بلاد المغرب.

العبيد: لقد خصصت للعبيد بالسودان الغربي أسواق خاصة تسمى أسواق النخاسة، وخاصة في مدينة غاو، وغالبا ما كانوا يستخدمون في الأعمال الشاقة التي تتطلب جهدا عضليا، كالصناعة واستخراج المناجم والزراعة، ونقل البضائع وحراسة القوافل، كما استعملوا في أشغال أخرى داخل القصور والجيش وحراسة الملوك.

الرياش: وخاصة ريش النعام الذي كان يستعمل في حشو الأرائك والمخدات، وتتخذ منه المراوح، وكذا استعمله كمظهر من مظاهر الزينة.

بيض النعام: والذي كان يدخل في تركيب الأدوية، فكانت أسعاره مرتفعة.

العاج: وهي المادة المكونة لأنياب الفيلة، كانت تجلب من مناطق الغابات جنوبي السودان الغربي، واستعملت في عدة أغراض تشكيلية وفي صناعة الأثاث. وغالبا ما كانت السلع الكمالية تتجه نحو الأثرياء⁽¹¹¹⁾.

ب-صادرات المغرب الأوسط: تمثلت في مواد زراعية تفتقر إليها المنطقة نظرا لعدم تناسب مناخها وتربثها لاستنباتها ونموها، وبعض المواد المصنعة التي ينتجها المغرب الأوسط أو تأتي إليه من الضفة الشمالية للمتوسط.

فبالنسبة للمحاصيل النباتية نجد على رأسها القمح، الذي لم يكن في متناول جميع الفئات الاجتماعية، وإنما كان حكرا على الطبقة الراقية المتمثلة في الملوك والولاة والأثرياء، نظرا لارتفاع أسعارها، وهذا ما يؤكد قول ابن بطوطة بأنه يبيع في القرن الرابع عشر بمدينة تاكدة بحساب عشرين مدا من أمدادهم بمنقال من ذهب⁽¹¹²⁾، كما اتجه التين التلمساني المجفف أيضا نحو هذه المنطقة وكان سعره مماثلا لسعر

القمح⁽¹¹³⁾ فكان يلقي رواجاً وإقبالا كبيرا من لدن سكانها، إضافة إلى الزبيب وعين البقرة، وكذا التمر.

أما بالنسبة للمواد والسلع المصنعة، فقد صدر أهل المغرب الأوسط بعض المنسوجات التي اشتهرت بها المنطقة، حتى أصبح بعضها لباسا مميزا للطبقة الراقية من ملوك وتجار وقضاة وغيرهم، لأن لحمته كانت من الحرير الطبيعي وسداه من القطن، كما كان بعضها يجلب من أوروبا، وخاصة من شبه الجزيرة الإيطالية. وصدرت نحوها أيضا الأسلحة والدروع والخوذ والخناجر والسهام والسكاكين والأواني المنزلية لأنها كانت أمما متخلفة في المجال الصناعي أو الحرفي، إذا ما قارناها مع بلدان المغرب الأوسط أو البلدان الأوروبية آنذاك.

* التجارة مع الدولة الحفصية والمرينية: رغم قلة المصادر التي تعطينا صورة متكاملة عن التبادل التجاري بين هذه الكيانات الثلاث، إلا أننا يمكن أن نستنتج بعض الأمور الأساسية كالعامل السياسي وما كان له من دور أساسي في ازدهار أو انكماش التبادل التجاري سواء من الناحية الشرقية أو الغربية أو كلتاهما معا⁽¹¹⁴⁾، وكذا المحاصيل والمنتجات المستوردة والمصدرة انطلاقا مما ذكره الرحالة العرب عن منتجات كل منطقة.

فمن بين ما كان يصدر نحو الدولة الحفصية، السفرجل الذي يتجه من تنس إلى المسيلة والقيروان⁽¹¹⁵⁾، إضافة إلى العسل والسمن والتين الذي يخرج من جزائر مزغنة نحوها⁽¹¹⁶⁾. وبعض الفواكه، والقمح والشعير في سنوات الخصب التي كانت تصيب المنطقة من فترة لأخرى كما هي الحال بالنسبة لباقي بلاد المغرب الأوسط، وبعض المصنوعات. أما وارداتها فيمكن حصرها في الفستق والعطور والأحجار الكريمة⁽¹¹⁷⁾، والشمع والمرجان والملح والأسماك المملحة والصابون والحديد⁽¹¹⁸⁾، كما لا نستبعد استيرادها للتوابل والمنسوجات الحريرية والوشى والبردي والقطن والعطور القادمة من بلاد المشرق باعتبار أن الدولة الحفصية كانت تلعب دور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب الإسلامي.

أما بخصوص المغرب الأقصى، وفي ظل غياب المصادر التي أرخت للمبادلات التجارية بينه وبين المغرب الأوسط، وتعد صفو العلاقات التجارية في أغلب الفترة التي امتدت وعاشت فيها الدولتان، يمكن أن نتصور تبادلا لبعض السلع بشكل فردي لا رسمي، لكننا يمكن أن نستنتج بأن هناك بعض المواد التي استوردها المغرب الأوسط، كالسكر

المعروف بالطبرزد والذي اشتهرت به بلاد السوس، فتواجدت بها العديد من معاصره، فكان يصدر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس⁽¹¹⁹⁾ ومعدن النحاس الذي فقت جودته كل أنواع النحاس الأخرى من منطقة داي أسفل جبل درن⁽¹²⁰⁾ ولا نستبعد أيضا استيراده للقطن الذي اشتهرت به المنطقة، والذي كان يصدر إلى كل الجهات⁽¹²¹⁾ وبالمقابل انتقلت بعض المحاصيل من المغرب الأوسط نحو المغرب الأقصى وعلى رأسها الحبوب وهذا لانخفاض أسعارها ووجود فائض منها خاصة بمنطقة تنس⁽¹²²⁾، التي كانت تخرج منها الأطعمة ليس نحوها فقط بل إلى بلاد الأندلس وإفريقية⁽¹²³⁾.

*- مع بلاد المشرق: أكد صاحب الاستبصار وجود علاقة بين بلاد المشرق والمغرب الأوسط حين ذكر بأن سفن المسلمين كانت ترسو في ميناء بجاية قادمة من الإسكندرية⁽¹²⁴⁾ ونجد عبد الكريم جودت يوفينا ببعض السلع التي يمكن لتجار المغرب الأوسط أن يكونوا قد استوردوها من المنطقة، كالسيوف والصمغ واللؤلؤ من اليمن، وخشب الساج والرخام من بغداد والوشي من الكوفة، إضافة إلى التحف والطرائف لتزيين القصور والتي تعدتها إلى بلاد الأندلس، وماء الورد والطيب والكافور والكرم الذي ينفع في علاج الجرب وتجفيف القروح وغيرها⁽¹²⁵⁾.

ومن هنا نستنتج بأن بلاد المغرب الأوسط رغم الأزمات والمحن المختلفة التي مرت بها إلا أنها ظلت منطقة عطاء وخصب زراعي كما ظلت تمثل منطقة وصل بين أوروبا ودواخل إفريقيا التي كانت بحق قفلها، فظلت مع ذلك مطمعا لجميع الدول العربية وغير العربية وهذا ما تجلى في التحرشات الإسبانية والبرتغالية التي انتهت بخضوع المنطقة للحكم التركي مدة تفوق الثلاثة قرون.

الإحالات والتهميش.

1. ابن منظور (الإفريقي)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت- لبنان-، 2004م، ج12، ص113.
2. ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص301 ومايليها.
3. المقرئ (أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، طبعة 1968، ج7 ص135.
4. ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر نفسه، ص302.
5. ليس المقصود هنا ناحية الكيف أو وسائل الاستغلال، وإنما من حيث عدد المشتغلين بها.
6. ابن خلدون (أبو زكريا يحيى)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق الدكتور عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر 1400هـ-1980م، ج1، ص114.
7. ربما كان عدم الاستقرار الذي تشهده المنطقة، عاملا مهما في ظهورها، إضافة إلى التقلبات المناخية التي كانت تعود سلبا على الإنتاج. وقد انتهجت هذه السياسة في عدة دول سبقتها كالدولة الحمادية التي جعلت من القلعة مكانا لتخزين الحنطة ليمر عليها الحولان فأكثر ولا تفسد ولا يعثرها التغيير. انظر الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن عبد الله)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ص117. كما أنها كانت تمر على المنطقة سنوات من القحط حسب ما يرويه صاحب البستان حين يقول (وذكر لي بعض من أتق به أنه سمع من بعض الناس أنه كان يتلمسان فيما تقدم غلاء شديد تعطلت الصلاة بسببه في كثير من المساجد) ابن مريم، البستان في أخبار علماء وأولياء تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986، ص33.
8. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان 1960م، ج7، ص113.
9. كل ما يؤتد به مع وفي الحديث الشريف "تعم الآدم الخل" قالوا دام بالكسر والادام بالضم: ما يؤكل به الخبز، أي شيء كان وفي الحديث "سيد آدم أهل الدنيا والآخرة اللحم" ومن الفقهاء ما لا يجعل اللحم أدما ويقول: لو حلف إن لا يادام، ثم أكل لحما لم يحنث، وجمع الآدم آدام، يقال آدم الخبز أي خلطه بالآدم، انظر ابن منظور، المصدر نفسه، ج1، حرف الألف، ص45.
10. ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر نفسه، ج7، ص135.
11. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1976، ص179.
12. ابن سعيد (أبي الحسن المغربي)، كتاب الجغرافيا، ط2، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص140.
13. الاستبصار، ص198.
14. ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر نفسه، ج7، ص198.
15. المقرئ، المصدر نفسه، ج7، ص135.
16. الوزان، (الحسن بن محمد)، وصف إفريقيا، ط2، دار الغرب الإسلامي، ج2، ص20.
17. ابن خلدون يحيى، المصدر نفسه، ص86.
18. لا يزال هذا السهل الساحلي يحتفظ بهذا الاسم، ويقع بضواحي الجزائر العاصمة، وهو من أخصب السهول في الجزائر والعالم.
19. عاشور يوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 696-981هـ/1668-1573م، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة كلية الآداب قسم التاريخ، 1411هـ/1991م، ص396.

20. ابن حوقل (أبي القاسم النصيبى)، صورة الأرض، ط2، دار صادر بيروت، 1938، ج1، ص 76.
21. نفسه، ص. 77.
22. نفسه، الصفحة ذاتها.
23. الوزان، نفس المصدر، ص13 و14.
24. الإدريسي، المصدر نفسه، ص100 و101. انظر أيضا، الاستبصار، ص176، 177.
25. يقول يحي بن خلدون في هذا الصدد "وذكرها صاحب جغرافيا فقال (دار ملك قديمة البناء طيبة الهواء كثيرة الفواكه والزرع ذات عيون غزيرة، وأعمال متعددة باردة المشتى لكثرة ثلجها. ..) (البغية، ص91).
26. ابن خلدون يحي، المصدر نفسه، ص90. انظر أيضا، المقرئ، المصدر نفسه، ج7، ص135.
27. المدّ وحدة وزن قديمة يقدرها يحي بن خلدون بستين برشالة زنتها ثلاثة عشر رطلا من البر أو الحبوب.
28. ابن خلدون يحي، المصدر نفسه، ص90.
29. الاستبصار، ص176.
30. Vernet robert، histoire et de civilisation du Maghreb، revue d. 30، janvier 1976، p32.
31. الوزان، المصدر نفسه، ص39-42.
32. تقع تلمسان عاصمة المملكة حسب ابن سعيد على دائرة عرض ثلاثة وثلاثون درجة واثنان وأربعون دقيقة، وخط طول أربعة عشر درجة وأربعون دقيقة، المصدر نفسه، ص140.
33. المقرئ احمد، المصدر نفسه، ج7، ص135.
34. cit. op، Vernet robert، p62.
35. الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)، تاريخ الجزائر العام، ط4، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م، ج2، ص186.
36. cit. op، Vernet robert، p62.
37. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، ص320.
38. أبو إسحاق إبراهيم بن خلف التنسي عالم وصالح ألف كتباً كثيرة، توفي في تلمسان في حدود 680هـ، وقبره في العباد بتلمسان. التنسي نفس المصدر ص127. وهناك اختلاف في كنية الرجل إذ نجده لدى صاحب البستان "التونسي" ص112.
39. ابن مريم، المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.
40. ابن خلدون يحي، المصدر نفسه، ص114.
41. Paulume Denise، 6eme édition، les civilisations africaines، 1974، presse universitaire de France، p102.
42. ابن حوقل، المصدر نفسه، ص76 وما يليها.
43. الاستبصار، ص179.
44. هو ما يعرف اليوم بصهرريج بدة والذي يقال بأنه اسم لأميرة من أميرات القصر العبد وادي، أنشئ حوالي 716-738هـ/1313-1335م، ومعناه لغة الحظ والنصيب كان يستعمل للسباق بين الزوارق والقوارب في أيام الأعياد والاحتفالات وللسقي أيضا، وهو اليوم عبارة عن منتزه. طوله 200 متر وعرضه 100 متر وعمقه ثلاثة أمتار.
45. رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، دم ج، الجزائر، ص89.
46. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، ص315.
47. نفسه، الصفحة ذاتها.
48. ابن خلدون يحي، المصدر نفسه، ص216. انظر، التنسي محمد بن عبد الله، نفس المصدر، ص140.

49. حسب يحيى بن خلدون فإن مخترعها هو العالم الرياضي أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفحام، ولمعرفة مزيد من المعلومات عن هذه الساعة يرجى العودة إلى: التنسي (محمد بن عبد الله)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه محمود بوعيايد، م.ك، الجزائر، 1985م، ص 162 و 163.
50. سعد زغلول (عبد الحميد)، تاريخ المغرب، ج 3، ص 441.
51. الوزان، المصدر نفسه، ص 24.
52. نفسه، ص 45.
53. مارسى جورج، مدن الفن الشهير - تلمسان - موقان، البليلة، الجزائر 2004. ص 101.
54. الوزان، المصدر نفسه، ص 15.
55. نفسه، ص 15.
56. ابن سعيد، المصدر نفسه، ص 140.
57. مارسى جورج، المرجع نفسه، ص 100.
58. ما يدل على التخصص في هذا المجال هو التطوير المستمر للنوعية، إذ يصف d.arvieux chevalier البرنس الذي كان متواجدا بتلمسان في القرن السابع عشر بقوله، "و هو ذو شعر طويل ذو وجه متموج مثل الوبر والوجه الآخر مشابها للفرس المتجعد للخرفان الآتية من البحر الأسود فيضع الناس الشعر إلى الداخل في فصل الشتاء وإلى الخارج في فصل الصيف أو عند الأمطار لأن المطر يسقط عليه دون أن يخترقه وعندما يستمر هطول المطر عليه لفترة طويلة يقوم الناس بنفضه فيبقى جافا كان لم يمطر فوقه". انظر مارسى جورج، المرجع السابق ص 100. وإن كانت الفترة التي أوردها مارسى بعيدة نوعا ما عن ما نقوم بدراسته، إلا أن تلك المرتبة التي بلغها ذلك البرنس تعتبر امتدادا لتجربة تغوص في العمق، وإن ذلك لم يتأت في فترة وجيزة.
59. مارسى جورج، المرجع نفسه، ص 100.
60. الوزان، المصدر نفسه، ص 24.
61. كحالة محمد رضا، دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق 1973م، ص 156.
62. ابن أبي زرع، الأتييس المطرب بروض القرطاس في معرفة ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ج 2، ص 165. 164.
63. الوزان، المصدر نفسه، ص 20.
64. نفسه، ص 35.
65. نفسه، ص 23.
66. من هذه الأمكنة والأحياء طريق الأرحاء وطريق المعصرة وذراع الصابون وسوق نشر الجلد وسوق الغزل وباب القرمادين. .. الخ.
67. بن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، ص 318.
68. نفسه، الصفحة ذاتها.
69. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر، ج 7، ص 71.
70. التنسي، المصدر نفسه، ص 118، انظر أيضا، ابن خلدون عبد الرحمن، العبر، ج 7، ص 95، 96.
96. وابن خلدون يحيى، المصدر نفسه، ص 205.
71. ابن خلدون يحيى، المصدر نفسه، ص 207.
72. الوزان، المصدر نفسه، ص 23.
73. التنسي، المصدر نفسه، ص 142.
74. ابن خلدون يحيى، المصدر نفسه، ص 215.
75. نفسه، ص 207.
76. الدراجي بوزياتي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر 1993، ص 218.

77. حملت الدناير التي جاءت بعد فك الحصار المريني عن مدينة تلمسان عبارة "ما أقرب فرج الله" ومن هنا ندرك بأن النقود نهما كانت طبيعتها تعتبر جزءا هاما من الموروث التاريخي والثقافي لأي دولة فقد تساعد كثيرا في تزويد الباحث بالمعطيات والأحداث، أو على الأقل أنها تمثل مدخلا لإثراء أو توسيع عملية البحث التاريخي للمنطقة...
78. لمزيد من الاطلاع يرجى العودة إلى كتاب نظم الحكم للدراجي بوزيان، المرجع: السابق، ص228-235.
79. زبادية عبد القادر، المرجع السابق، ص54.
80. بوشامة عاشور، المرجع السابق، ص360.
81. الونشريسي (أحمد بن علي)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ج5، ص81.
82. الوزان، المصدر نفسه، ص23.
83. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، ص310.
84. الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1405، تحقيق إبراهيم الأبياري، ص68-73.
85. كحالة عمر رضا، المرجع نفسه، ص109.
86. كان لعرب قریش رحلتان للتجارة الأولى تتم شتاء وفي اتجاه اليمن والثانية صيفا تجاه الشام.
87. اختلفت نظرة المسلمين للتجارة من زمن لآخر ومن خلافة لأخرى إذ كان الأمويون لا ينظرون بعين التقدير إلى التاجر لأنهم كانوا فرسانا محاربين وقواد حرب. عمر رضا كحالة، المرجع نفسه، ص109.
88. "التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة" أخرجه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر.
89. موسى (عز الدين عمر)، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1464هـ/2003م، ص282.
90. لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع يرجى الاطلاع أو العودة إلى كتاب "الإشارة إلى محاسن التجارة" لأبي الفضل الدمشقي، ط1، تحقيق البشري الشوريجي، مطبعة القد، الإسكندرية، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، 1977/1397، ص70-75.
91. موسى عز الدين، المرجع نفسه، ص281.
92. الونشريسي، المصدر نفسه، ج6، ص77، 119، وج2، ص944.
93. لمزيد من المعلومات يرجى العودة إلى: موسى عز الدين، المرجع نفسه، ص278 وما يليها.
94. يقصد بالسودان الغربي المنطقة المشتملة على حوض السنغال حاليا وغامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط وقد تكونت في العصر الوسيط من مجموعة من الممالك هي: غانا مالي وسنغاي وبرنو. لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع يرجى العودة إلى عبد القادر زبادية، مجلة التاريخ، عدد 9، النصف الثاني من سنة 1980، المركز الوطني للدراسات التاريخية، ص183 وما يليها.
95. بوعباد محمود، جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص34، انظر أيضا: الطمار عمرو محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر وال خارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص236.
- 96 op.cit p. Robert corvenint337.
97. العرب هم أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى، وسموا بلادهم بلاد السودان، أما أصل التسمية فقد استوحوه من لون البشرة عند سكان تلك المنطقة، عبد القادر زبادية، نفس المرجع، ص11.
98. مناطق مرتفعة هضبية تنتشر في وسط وشمال موريتانيا الحالية، يتراوح ارتفاعها ما بين 300 و500م فوق مستوى سطح البحر.
- cit p337. 99. Robert Corvenin.op

100. بودواوية ميخوت، نفس المرجع، ص313 وما يليها، انظر أيضا: الطمار عمرو، المرجع نفسه، ص.236.
101. المقري، المصدر نفسه، ج5، ص205.
102. ورد في نفح الطيب تعريفا بهذه العائلة وشركتها ما يلي ((ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طيقاتهم بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طيلا للرحيل وراية تقدم عند المسير وكان ولد يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال ففقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال فكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبي من جميع جهات أمي وأبي بتلمسان وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران ببايوالاتن فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الإمام وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان)) ج5، ص.205.
103. كحالة محمد رضا، المرجع نفسه، ص154.
104. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة التوفيقية القاهرة مصر بدون تاريخ. ص.607.
105. بن عميرة لطيفة، حولية المؤرخ عدد5، جوان 2005. دار الكرامة للطبع والنشر، ص.88.
106. ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص.608.
107. يضم السودان الغربي ثلاثة ممالك هي: مملكة التي قامت شرق السنغال وجنوب موريتانيا، كما شغلت جزءا من مالي وربما غينيا حسب حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في إفريقيا مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية 1964، ص.102. والإمبراطورية المالية التي سيطرت على الجزء الغربي لبلاد السودان الغربي ومملكة السنغاي التي تأسست ابتداء من القرن السابع الميلادي، وبسطت نفوذها على أراضي الإمبراطورية المالية.
108. مارسى جورج، المرجع نفسه، ص.98، 99.
109. لطيفة بن عميرة، المرجع نفسه، ص.84، 83.
110. يعرف محمد بن بكر الرازي التبر ب: "ما كان من الذهب غير مضروب، فإذا ضرب دنائير فهو عين، ولا يقال تبر إلا للذهب، وبعضهم يقوله للفضة. مختار الصحاح، طبعة جديدة، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، ناشرون، 1415هـ / 1995م، ج1، ص.31.
111. عبد الكريم جودت، الأوضاع الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، د م ج، الجزائر، ص.151.
112. ابن بطوطة، نفس المصدر، ص.696.
- la berberie orientale sous les hafside;des origines a la 113..Brunschvig
p237، tome 2، paris 1940-1947، fin du xv siècle
114. لا يمكن أن نتصور وجود تبادل تجاري رسمي على الأقل بين الدولة الزيانية وإحدى الدولتين في فترات العدوان أو الحروب التوسعية. أما الحالة الثانية فهي حالة الحصار المر بني المضروب على تلمسان والذي دام قرابة الثماني سنوات فمن خلال الحالة التي وصل إليها سكان المدينة من أكل الجيف والقطط والثعابين وغيرها ندرك بان الدولة انقطعت تجاريا وسياسيا عن العالم ككل.
115. عبد الكريم جودت، المرجع نفسه، ص.215.
116. الإدريسي، نزهة المشتاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989، ج1، ص.258. انظر أيضا ابن حوقل، المصدر ذاته، ص.76.
117. الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج4، دار إحياء التراث، بيروت، 1979، ص.385.
118. انظر عاشور بوشامة، المرجع نفسه، ص.404.
119. الاستبصار، ص.212.
120. الإدريسي، المصدر نفسه، ج1، ص.241.

121. نفسه، الصفحة ذاتها.
122. ربما تكون المنطقة المقصودة هي تونس، لتوافق ما ورد في كتاب الاستبصار عنها بقول أحد الشعراء :
- أيها السائل عن أرض تنس *** بلد اللوم لعمرى والدنس
بلد لا ينزل القطر بهـا *** للندى في أهلها حرف درس
وقوله عن منطقة السرت "وأهلها أخس الناس خلقا وأسوأهم معاملة، لا يبيعون ولا يبتاعون إلا
بسعر اتفقوا عليه...." الاستبصار، ص130
123. نفسه، ص133، انظر أيضا، الحموي ياقوت، المصدر نفسه، ج1، ص314، ج2، ص48.
124. نفسه، ص130.
125. لمزيد من الاطلاع على هذه المواد يرجى العودة إلى، جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص232 وما يليها.